محي الـدين صبحي

حول المجموعة الشعرية الكاملة لمعين بسيسو
شعـر الحقيقـة في عصر السقوط

هذا الديوان ، بالتأكيد ، لا يمثل التقليد المتوارث في الشعر العربي منذ زهير بن ابي سلمى (تولي حوالي ٥٥٥ م) الى ادونيس .

فالتقليد يفرض على الشاعر ان يحك شعره وينقي الفاظه ويصقل ديباجته ويكثف فكرته ويتخير استعارته ، حتى تأتي القصيدة مفرغة ملساء لا وهي في مبانيها ولا نقض في معانيها . كان الشاعر الجاهلي يمضي حولا كاملا في نحت قصيدته وتشذيبها ، وليس الشاعر العربي المعاصر باقل عناية من سلفه . فالعرب امة الشعر ، ولا ريب في أن الشعراء العرب يحبون شعرهم الى حد العبادة لكي يبذلوا كل هذا الجهد طواعية وعن طيب خاطر ، لمدة تزيد على الف وخمسمائة عام من الشعر العربي المعروف لدينا ، ولا ريب في أن البدايات الاولى لهذا التقليد تضرب في مجاهل تاريخ سحيق يرتبط بشعائر دينية غامضة ، من بينها ان القصائد الجياد كانت تعلق في الكعبة حيث تقوم اصنام العرب وعباداتهم الوثنية .

ولد هذا التقليد في مضارب القبيلة حيث كان الشاعر يقوم بدور المتنبىء والمرشد والمربي في داخل القبيلة وبين ابنائها ، اما فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية بين القبيلة وغيرها من القبائل فكان دور الشاعر اشبه بدور اجهزة الاعلام الحديثة في فترة الحرب الباردة : كان الشاعر يشيد بمفاخر قبيلته ومآثرها ، فيعدد انتصاراتها وينوه بكثرة عدد افرادها وشجاعتهم وكرمهم ، ليثني الخصوم عن الاعتداء عليها اذا لمسوا منها غرة او انسوا تهاونا في استعدادها للدفاع عن املاكها — وفي حالات اخرى تكون قبيلة الشاعر هي المعتدية فيصبح افتخار الشاعر بقوتها وسيلة فعالة لصرف الخصوم عن اعمال انتقامية .

كان الشاعر العربي اذن فردا ملتزما بالقبيلة ومتميزا عنها في الوقت ذاته . ولكن ، كما ان لكل حالة استثناء ، فاننا نجد في تضامن الافراد مع القبيلة حالات استثنائية يخرج فيها الشعراء عن قبائلهم . فالشاعر الشنفرى (٥٠٠ م) قرر ان يترك قبيلته لاسباب لا نعرفها تماما ، لكنه نظم في هذا الموضوع قصيدة عرفت فيما بعد باسم « لامية العرب » وفيها يسجل شرعة الشعراء الذين يغادرون قبائلهم الى الصحراء ، والذين عرفوا باسم « الصعاليك » .